تفريغ محاضرة

الصّلاةُ حينَ تُداوي

رواء الاثنين | د.هند القحطاني

١٤٤٦/٣/٢٧ هـ

"الصّلاةُ حينَ تُداوي"

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمّا بعد

فقد خلق الله عز و جل آدم من طين، ثم نفخ فيه عز و جل من روحه فتحرك وعطس فدبّت فيه الحياة، هذه الخلقة لبني آدم المكونة من طين وروح الله عز وجل لا يعرفها ولا يعرف أسرارها ولا كينونتها ولا ما يصلحها إلا الذي خلقها، وهناك علاج أخبرنا الله عز وجل عنه: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ (١٥٤) وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٤-١٥٥]

فلحظات الفزع والكرب التي تمر بها الأمة الإسلامية والفتن والحروب التي لا تتوقف وقد خلفت عشرات الآلاف من الشهداء في غزة وقبلها في سوريا وفي لبنان الآن والأعداد في تزايد.

ويخبرنا الله عز وجل عنهم أنهم أحياء بمقياس آخر وما هذا إلا امتحان لقلب المؤمن قال تعالى قبلها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (١٥٣) وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[البقرة: ١٥٣-١٥٤].

فأخبرنا الله عز وجل عن الابتلاءات الشديدة التي ستنتج عن هذه الفتن المظلمة التي يصبح فيها الحليم حيرانَ، وأخبرنا عنه النبي عليه الصلاة والسلام عنها، **فعن أبي هريرة:** "بادِروا بِالأعمالِ، فِتنًا كَقِطَعِ اللّيلِ المُظلمِ"[1]. **فتكون الفتن** كقطع الليل المظلم تعمي الأبصار، وتعمي القلوب، فلا يعرف الإنسان الحق من الباطل.

❖ أسباب أداء الصلاة

شُرعت الصلاة في السماء السابعة أما بقية الأركان فشُرعت بنزول الوحي على النبي عليه الصلاة والسلام، ونزول القرآن عليه، إلا الصلاة أُسريت بالنبي عليه الصلاة والسلام إلى السماء السابعة إلى سدرة المنتهى إلى أعلى مكان، ونتج عن هذا اللقاء أعظم حادثة في التاريخ وهي الإسراء والمعراج حيث عُرِجَ بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى السماء السابعة إلى أن وصل سدرةَ المنتهى، ثم أُسرِيَ به عليه الصلاة والسلام إلى المسجد الأقصى فربط البراق بحائطه فسمي فيما بعد بحائط البراق، ثم صلى بجميع الأنبياء الذين لقيهم أثناء عروجه إلى السماء.

[1] أخرجه مسلم في صحيحه.

ونتحدث اليوم عن الصلاة لعدة أسباب وكنا قد تناولنا في دروس سابقة الخشوعَ في الصلاة مع طائفةٍ كبيرةٍ من الأحاديث التي تتكلم عن الصلاة بشكل مفصل.

وللمسلم أربعُ عبادات يفعلها في اليوم والليلة ذكرناها جميعًا في حديثنا عن سلسلة أعمالنا في اليوم والليلة، أولى هذه العبادات الصلاة ثم الصيام والقرآن فالذكر والدعاء هذه العبادات الأربعة من العبادات اليومية باستثناء الصيام وكل عبادة مستقلة بذاتها عن الأخرى أما الصلاة فهي تشمل الأربعة السابقة معًا.

وسأذكر **ستةَ أسبابٍ** تُلزِمنا بأداء الصلاة والمحافظة عليها، وذلك لأنها:

١- تدخل فيها جميع العبادات

قال النبي عليه الصلاة والسلام: "الصلاةُ خيرُ موضوع، فمنِ اِستطاعَ أنْ يَستكثِرَ فَلْيستكْثِر"[٢].

فأعظم عبودية يمكن أن يعيشها العبد لا يجدها إلا في صلاته، فربما لا يملك ما يتصدق به، أو لا تعينه صحته على الصيام، أو لا يعرف القراءة فلا يقرأ القرآن، أما الصلاة فيسيرةٌ سهلة التناول وقد أوجدها الله عز وجل ليحيي بها قلوبنا وليعيد لها لذة الإيمان وحلاوته، **ولذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام:** "ذاق طعم الإيمان من رضي الله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا"[٣].

٢- لها حلاوةٌ ليست موجودة في أي عبادة أخرى

والنبي-عليه الصلاة والسلام- ذاق حلاوة الصلاة فكان إذا دخل وقت الصلاة يلتفت لبلال رضي الله عنه وهو يقول: **"أرحنا بها يا بلال"**، وهذا ما كان عليه السلف، لذلك هذه الصلاة لا تُقبل إلا حينما تجعلها خالصة لله عز وجل وتؤديها بشوق؛ لأنَّ الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيّبًا.

فعلى الرغم من ابتلاء الله عباده بالجوع والخوف والنقص في الأموال والأنفس فللإيمان لذة وحلاوة من لم يذقها لم يذق حلوًا قط وهي حلاوة اليقين فبغيره لا يقوى العبد على التحمل، كما أن لكل واحد ردّات فعلٍ تختلف من واحد إلى آخر حسب إيمانه؛ فأما من ضعف إيمانه فلا يمكنه أن يحتمل المصيبة فيجزع ويتسخط، وأما من كان لديه رصيد إيماني كبير وكان يكثر من ذكر الله عز وجل في السراء فلا يدعه الله في الضراء وحده.

---

[٢] أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط، وحسّنه الألباني لغيره.

[٣] أخرجه مسلم في صحيحه.

وجاء في الحديث القدسي أنّ الله عز وجل يخاطب ملائكته عند ابتلاء العبد بموت ولده فيقول: "قبضتم ولدَ عبدي، فيقولونَ: نعم، فيقول: قبضتم ثمرةَ فؤادِهِ، فيقولونَ: نعم...."[٤] ويقول عز وجل في روايةٍ أخرى: **"ما لعبدي المؤمنِ عندي جزاءٌ، إذا قبضتُ صفيَّهُ من أهلِ الدنيا، ثمَّ احتسَبَهُ، إلّا الجنّةَ"**[٥].

فيسأل الله عن ردة فعل عبده لحظة الألم، فالإنسان الذي لا يملك رصيدًا من الإيمان تنزل عليه المصائب كبرى وعظيمة ولا يستطيع تحملها فيحتاج أيامًا ليتعافى، فالصلاة تنمي العلاقة بيننا وبين الله عز وجل ونحن بحاجةٍ ماسةٍ للصلاة فالله عز وجل لن يسألنا عن كمِّ الأعمال بل عن إحسانا للعمل قال الله عز وجل: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾[الملك: ٢].

إذن ليست القضية فقط في الإكثار من العبادات بل بتحسين ما تقدمه لله عز وجل وتجويده، فالله عز وجل سيحاسبنا على إحساننا في العمل، ومجرد أن تستشعر أنك تتعبد فيها الله عز وجل فأنت لا تستطيع أن تقدمها بأي شكلٍ كان بل بشكل متقنٍ غايةَ الإتقان.

وكتب الإمام ابن القيم رحمه الله كتابه **(إيّاكَ نعبدُ وإيّاكَ نستعينُ في مدارجِ السّالكينَ)** بثلاثة مجلدات فأخذ يتكلم عن القلوب وعروقها وكأنه بداخلها فذكر دواخل النفس وما يعتلج فيها من مشاعر كاليقظة والغفلة والإحسان والبصيرة، كما تناول علاقة الإنسان بربه فقال في سياق حديثه عنها: **"وما لنا من هذا كله إلا الرسوم -أي: الخط- ونحن نكتب، وأمّا عيشُها فلم نشمَّ لها رائحةً وهذا تواضعُ مَن رحمَهُ اللّه"**.

فلن تكون صلاتنا متقنة ولن تزيد بالإيمان إن لم نكن نشعر فيها بالحلاوة ونشتاق إليها ولا نشعر بأنها ثقيلة فنستعجل انتهاءها، فيجب أن تكون صلاتنا كلقاء من نحب فكيف يكون شوقنا وحاجتنا له فهذا لقاء بشرٍ لبشر يخطئ ويصيب فكيف إن كان لقاء عبد لربِّه، والعبد محتاج إلى ربه.

فعندما تصلي بلا خشوع وتخشع فجأةً وأنت ساجدٌ مثلًا فتشعر أنَّ قلبك يرتجف من خشية الله والشوق له فتودُّ ألّا تنتهي هذه الصلاة فهذا لقاؤك مع محبوبك الذي تألهت له القلوب فأصابها الوله وهو شدة الشوق والحنين.

٣- مفرجة للكربات

فكثير من الناس لا يدركون أهمية الصلاة في تفريج الكروب ولا تفريج الهموم والأحزان.

وكانت الصلاة مراح النبي عليه الصلاة والسلام **فعن سالم بن أبي الجَعْدِ، قال: قال رجلٌ: قال مِسْعَرٌ أراهُ مِن خُزاعةَ: ليتني صلّيتُ فاسترَحْتُ فكأنهم عابوا عليه ذلك، فقال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "يا بلال أقِم الصلاةَ أرِحْنا بها"**[٦].

---

[٤] أخرجه التّرمذي في سننه، وحسّنه الألباني.

[٥] أخرجه البخاري في صحيحه.

[٦] أخرجه أبو داود في سننه، وصحّحه الألباني.

عن حذيفةَ بن اليمان رضي الله عنه قال: "كان النبي صلّى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر، صلّى"[٧]. وفي روايةٍ أخرى: "فزعَ إلى الصلاة"[٨]. وحزبه أمر: أي نزلت به نازلة، وهو الرسول المؤيد بالوحي، الذي يأتيه جبريل-عليه السلام- بخبر السماء ويأتيه بالوحي من السماء ومع ذلك تنزل به النازلة: الأحزاب، غزوة بدر، غزوة أحد، مقتل حمزة رضي الله عنه، جعفر-رضي الله عنه-، أيًّا كان.

فالطريق مفتوحةٌ إلى الله-عز وجل- فافزع إلى الصلاة، فالصلاةُ تفعل في القلب مفعول السحر، شيء من التثبيت ينسكب على القلب، وشيء يثبت الجنان لا يمكن أن يصفه وصف، إذ لا يثبِّت في لحظات الكرب عبادةٌ كالصلاة فهي نور تهدي صاحبها إلى الهدى وطريق الحق.

فما كانت هناك مشكلة يغتمُّ لها النبي-عليه الصلاة والسلام- إلا وكان يفزع للصلاة لحلها، فلا يوجد إنسان أُوذي كما أُوذي النبي-عليه الصلاة والسلام-، ولا يوجد إنسان خُوّف كما خُوّف النبي عليه الصلاة والسلام، فما نعيشه اليوم من ابتلاءات وحرب وحصار مختلفٌ عمّا عاشه رسول الله صلى الله عليه وسلم فالابتلاء واقع على شعب بأكمله، أما رسول-عليه الصلاة والسلام- فوقع له وحده، فكان النبي-عليه الصلاة والسلام- المسلم الوحيد على وجه الأرض فصبر على الدعوة لهذا الدين ولم يكن على وجه الأرض واحد يؤمن به، فكان -عليه الصلاة والسلام- يصلي وكان المشركون يستهزئون به فيُرمى سلا الجزور على ظهره وهي أمعاء الذبيحة وأحشاؤها، وكان الإسلام ضعيفًا في بدايته فعن بن مسعود رضي الله عنه قال: "بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي عند البيت، وأبو جهلٍ وأصحابٌ له جلوسٌ، وقد نُحِرت جَزورٌ بالأمس..... فلمّا سجدَ النبي صلى الله عليه وسلم وضعَه بين كتفيه، والنبي ساجدٌ ما يرفعُ رأسَه، حتّى انطلقَ إنسانٌ فأخبرَ فاطمةَ، وهي جويريةٌ فطرحته عنه، ثم أقبلت عليهم تشتمهم، فلمّا قضى النبي صلى الله عليه وسلم صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم"[٩]. فأرشده الله-عز وجل- إلى الصلاة بأن يكون من الساجدين ويسبّح بحمد ربه، فكان النبي-عليه الصلاة والسلام- إذا حزبَه أمرٌ سجد لأمر الله، فالصلاة دواء العبد، ودواء كروبه وهمومه.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾. [الحجر: ٩٧-٩٩].

فخضع رسول الله صلى الله عليه وسلم لامتحان صدق البدايات فكانت البشارة فتح مكة فما كان يدري أنّه سيُمكَّن وتُفتح له مكة وقد كان يمر من آل ياسر وهم يعذبون فيدعو لهم ويبشرهم: "أبشروا آل عمار وآل ياسر، فإنَّ موعدَكمُ الجنة"[١٠]!

---

[٧] أخرجه أبو داود في سننه، وحسّنه الألباني.

[٨] أخرجه الطّبري في تفسيره جامع البيان عن تأويل آي القرآن.

[٩] أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

[١٠] أخرجه الحاكم في مسنده، وذكره الألباني في صحيح السيرة النبوية.

فليس بينك وبين الحل إلا أن تتوضأ فتصلي، فيكشف الله-عز وجل- أمرك، فعندما تتجه إلى الله-عز وجل- وترمي بهمومك عليه فتصلي صلاة المحتاج لرضا الله ومساعدته لا أداءً لفريضةٍ وإسقاطنا لها.

٤- الصلاة نور

عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الطّهورُ شَطْرُ الإيمانِ، والحمدُ للهِ تملأُ الميزانَ، وسبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ تملآنِ -تملأُ- ما بينَ السماواتِ والأرضِ، والصلاةُ نورٌ..."[١١].

فهي نور للقلب؛ إذ إنَّها تنير قلوبنا خمس مرات في اليوم، فتدعوه أن يدبِّر أمرك، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا كربه أمرٌ قال: **"يا حيُّ يا قيومُ برحمتِكَ أستغيثُ أصلحْ لي شأني كلَّهُ ولا تكلْني إلى نفسي طرفةَ عين"**[١٢].

فتبثُّ شكواك لله وحده كما فعل نبي الله يعقوب-عليه السلام-، فعلى الرغم من أنَّه نبيٌّ من الأنبياء ومن صفوة البشر، إلّا أنهم بشر، ويعتريهم ما يعتري النفس البشرية من الحزن والضيق والألم، وتمثَّل ذلك ليعقوب عليه السلام بفقده كلا ولديه يوسف وأخيه بنيامين-**قال تعالى:**﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾[يوسف: ٨٦].

٥- حل للمشكلات

فليس بينك وبين حل مشكلاتك إلا أن تتوضأ وتصلي، وقد يكون جزءًا من حل المشكلة أن يسكب الله-عز وجل- الطمأنينة في قلبك، والرضا والثقة، فتُحل المشكلة، وليس من شأنك كيف تحل وما عليك إلا أن تعمل بما أمرك وأوصاك الله-عز وجل- به. قال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾[الحجر: ٩٨].

٦- أعظم صلة بين العبد وربه

فالصلاة هي الميثاق الأعظم بين العبد وربه، وهي أول موعد بيننا وبين الله عز وجل، ولذلك شعيب قال له قومه: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾[هود: ٨٧].

فكانوا يقصدون بالصلاة الدين، لذلك فإن أعظم أركان الإسلام على الإطلاق بعد الشهادتين هو ركن الصلاة وهو الركن العملي فلا يوجد أعظم ولا أجَلُّ ولا أهيب من هذه الصلاة.

يقول العلماء: **"إنّ مقياسَ علاقتِك وتدينك الحقيقي في علاقتِك مع الله عز وجل هو مقياسُك في الصلاة".**

---

[١١] أخرجه مسلم في صحيحه.

[١٢] أخرجه التّرمذي في سننه، وحسّنه الألباني.

❖ **كيفية الاستعداد للصلاة**

عن الأسود بن زيد -رضي الله عنه- قال: سألت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: "ما كان النبي يصنع في أهله؟ قالت: "كان في مهنةِ أهلِهِ، فإذا حضرَتِ الصلاةُ قامَ إلى الصلاةِ"[١٣].

فكان يُعِدُّ طعامه ويخيطُ ثوبه ويخصِف نعله.

وكل هذا ليبلّغ أعظم الفرائض التي يؤديها المسلم وهي الصلاة، فلفضل الصلاة وصل عليه الصلاة والسلام لسدرة المنتهى، وكلنا يعلم أنها خُفِّفت من خمسين صلاةً إلى خمس صلواتٍ بأجر خمسين، فكل صلاة بأجر عشْر صلواتٍ.

وهذا ما كان عليه السلف الصالح فكانوا يجوِّدون أعمالهم ويؤدونها على وجهها الأكمل **فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:** "إن الله طيّبٌ لا يقبَلُ إلّا طيّبًا"[١٤].

وحضر عوف بن مالك رضي الله عنه الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: "قمتُ معَ رسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ ليلةً، فقامَ فقرأَ سورةَ البقرةَ، لا يَمُرُّ بآيةِ رحمةٍ إلّا وقفَ فسأَلَ، ولا يمرُّ بآيةِ عذابٍ إلّا وقفَ فتعَوَّذْ"[١٥] فكان يقرأ قراءة الخائف الراجي المشتاق المحسن الظن بربه يشكر الله عز وجل على ما أسبغ عليه من نِعَم.

وكان هذا حاله في غزواته وحروبه في أول معركةٍ ضد الكفار في بدر، وفي الأحزاب عندما حاصرت عشرة آلاف من قريش المحينة حصارًا شديدًا، فكان النبي عليه الصلاة والسلام يستعد لذلك بالصلاة فيفزع لها طالبًا من بلال أن يؤذِّن ليريحَه **بها.**

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقوم الليل كلَّه بسورة يوسف.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: "لقد رأيتنا ليلة بدرٍ وما فينا إنسانٌ إلا نائمٌ، إلّا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه كان يصلي إلى شجرة، يدعو حتى أصْبَحَ"[١٦]، **عن مطرف عن أبيه رضي الله عنه قال:** "رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلّي ولجوفِه أزيزٌ كأزيزِ المِرْجَلِ"[١٧]. أي: القدر عندما تغلي.

وكان النبي عليه الصلاة والسلام يقول: "صَلُّوا كمَا رَأَيتمونِي أُصَلِّي"[١٨].

---

[١٣] أخرجه البخاري في صحيحه.

[١٤] أخرجه مسلم في صحيحه.

[١٥] أخرجه أبو داود في سننه، وصحّحه الألباني.

[١٦] أخرجه النّسائي في سننه، وصحّحه الألباني.

[١٧] أخرجه النّسائي في سننه، وصحّحه الألباني.

وعن القاسم بن محمد -ابن أخت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها- قال: "غدوتُ يومًا، وكنتُ إذا غدوتُ بدأتُ بعائشةَ رضي الله عنها أُسَلِّمُ عليها، فغدوتُ يومًا إليها، فإذا هي تصلّي الضحى، وهي تقرأُ: ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٧]. وتبكي وتدعو وتردِّدُ الآية، فقمتُ حتّى مللتُ وهي كما هي، فلمّا رأيتُ ذلك ذهبتُ إلى السوقِ فقلت: أفرُغُ من حاجتي ثمَّ أرجِع، ففرَغتُ من حاجتي ثمَّ رجَعت، وهي كما هي، تردِّدُ الآيةَ وتبكي وتدعو.

فتأمّلوا كيف قدَّرت عائشة رضي الله عنها سنة الضحى حق قدرها، وكيف تأثَّرت بكلام الله عز وجل فعلى الرغم من أن هذه اللحظة هي لحظة فرحٍ وامتنان بدخول الجنة إلّا أنَّ عائشة رضي الله عنها أخذت تبكي.

كان أبو بكر رضي الله عنه يصلي، وكان إذا أراد أن يصلي في بيته اجتمعَ الناس عليه ليروا كيف يصلي، فكان رجلًا أسيفًا يقرأ القرآن برقةٍ وخشوع، وقد أسلم الكثير من مشركي مكةَ بسبب صلاته.

فهناك فرقٌ بين إنسانٍ يصلي فيخشع في صلاته وفي ركوعه وسجوده فيأخذ بلُب من يراه، وآخر يصلي بلا قلب، فيُسرع ولا يخشع.

وكان ممن تقدم من السلف الصالح يعيشون الصلاة فلم تكن صلاتهم مجرَّد أداءٍ للفريضة، فيُذكر أن تميم الداري أحد الصحابة صلى ليلةً كاملةً من العشاء حتى أذَّن الفجر بركعةٍ واحدةٍ لم يجاوزها وقرأ آيةً واحدةً: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾[الجاثية: ٢١]، فبقي يُردِّد هذه الآية إلى أن أصبح.

وكان سفيان الثوري رحمه الله إذا قرأ الفاتحة لا يكاد يُتمُّها من كثرة بكائه، فكان إذا وصل قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَستَعِينُ﴾ أخذته العبرة وخنقته، ولسورة الفاتحة معانٍ تأخذ بالقلب واللّب فنحن نقرأها ١٧ مرةً في اليوم ما عدا النوافل الأخرى، فلهذه السورة سرٌّ عظيم، فعلينا أن نجعل من ضمن أهدافنا لهذه السنة أن نتعرّف أسرار سورة الفاتحة، فنطّلع على تفسيرها، ومعانيها، وغريبها، وأسباب نزولها لنفهم رسالة الله عز وجل لنا من خلالها.

فعندما تقرأ الفاتحة وتقرأ قوله تعالى الحمد لله رب العالمين، عندما تقول (رب العالمين) فأنت تخاطب رب الأرباب ورب كل شيء خُلق من آدم عليه السلام إلى قيام الساعة فله الملك المطلق والربوبية التامة وأمامه يصغر كل شيء، ثم تقرأ (الرحمن الرحيم) فيطمئن قلبك لأنك تعبد ربًّا رحيمًا، فأول صفةٍ تعرَّف بها العبد على ربه صفة الرحمة ثم تقرأ (مالك يوم الدين) فالإيمان باليوم الآخر ركنٌ من أركان الإيمان بالله تعالى ولا شيء يحدّد للعبد وِجهته في الحياة إلا يقينه بوجود يومٍ أخيرٍ ينتظره.

[١٨] أخرجه البخاري في صحيحه.

- **الوضوء للصلاة**

فيبدأ الخشوع من لحظة الأذان، ثمَّ يكون الوضوء فهو نورك ونهرك الذي تغتسل منه تطهرًا من ذنوبك وهو حلية المؤمن يوم القيامة قال النبي عليه الصلاة والسلام: "وَدِدتُ أنّا قدْ رَأينا إخوانَنا، قالوا: "أَوَلَسنا إخوانَكَ يا رسولَ اللهِ؟" قال: "أنتم أَصحابي، وإخوانُنا الذينَ لم يأتوا بعدُ". فقالوا: كيف تعرِفُ من لم يأتِ بعدُ مِن أُمّتِكَ يا رسولَ اللهِ؟ فقال: أرأيتَ لو أنَّ رجلًا لهُ خيلٌ غُرٌّ مُحَجَّلةٌ بين ظَهْرَي خيلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ ألا يعرِفُ خيلَهُ؟ قالوا: بلى، يا رسولَ اللهِ". قال: فإنّهم يأتونَ غُرًّا مُحَجَّلينَ مِنَ الوضوءِ"[١٩].

والخيل المُحَجّلة هي خيل سوقها بيضاء وفي جبينها أبيض، فالنور الذي يلازمك على الصراط يوم القيامة جزء من نور الوضوء.

- **الأذان للصلاة**

تناولنا فيما قبل درس الخشوع في الصلاة بشكل مفصل فالخشوع ملازمٌ للصلاة من وقت الأذان، ولذلك كان السلف الصالح يتعاملون مع الأذان تعاملًا مختلفًا عن تعاملنا معه.

والأذان هو الركن الأول لأداء الصلاة، ولذلك يحاول الشيطان أن يشغل العبد فيذكّره بكل مواعيده ومشاغل حياته، لئلا يتهيأ لها فلا يدخلها دخول المتحفز المشتاق.

ومن آداب الصلاة أن تتجه للصلاة بمجرد سماع الأذان وخاصةً الصلوات التي سنَّ الله فيها التعجيل تعظيمًا لله عز وجل، وكان سعيد بن المسيب رحمه الله دائمًا يصلي في الصف الأول، فكان يقول: **"ما أذّن المؤذنُ منذ أربعين سنةً إلا وأنا في المسجد، وما نظرت إلى قفا إنسانٍ وأنا أصلي".**

وسأل أحدهم الدكتور أحمد العربي أحد المشايخ وهو دائمُ الصلاة في المسجد: من متى وأنت هنا تنتظر إقامة الصلاة؟ فقال: أأنتظر ربي يناديني كي أصلي، أنا أذهب إليه، فكان لا ينتظر الأذان والإقامة ليصلي.

- **الدخول في الصلاة**

وتبدأ الصلاة من قولك الله أكبر فتنسى همومك وضيقك ومشكلاتك وأحزانك لأن الله عز وجل أكبر منها جميعًا، كما يجب أن تستفتح صلاتك بأحد أدعية الاستفتاح مبتدئًا دعاءك بالاستعاذة والبسملة ثم تقرأ الفاتحة فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا افتتح الصلاة سكتَ هنيهةً فقلتُ بأبي وأمي يا رسول الله ما تقول في سكوتك بين التكبير والقراءة: قال أقول: "اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت

[١٩] أخرجه مسلم في صحيحه.

بين المشرق والمغرب اللهم نقّني من خطاياي كما يُنقّى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد"[٢٠]

ولم يقل بالماء الحار؛ ذلك أن للمعصية حرارةً في القلب تحتاج ما يبردها.

- **الخشوع في الصلاة**

ويُذكر أن رجلًا نصرانيًّا مرَّ بسيارته بأحد الأراضي الزراعية في مصر فرأى في طريقه مزارعًا افترش الأرض وأخذ يصلي صلاة أخذت بمجامع قلبه لشدة خشوعه في صلاته وفي ركوعه وسجوده فكانت صلاته فاتحةَ خيرٍ لهذا الرجل فأسلم واختار لنفسه اسم عيسى.

وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: "إذا كانَ أحدُكم في الصلاةِ، فإنّه يناجي ربّهُ"[٢١]. **وقال عليه الصلاة والسلام:** "قسَمتُ الصلاةَ بيني وبينَ عبدي نصفين، ولِعبدي ما سألَ"[٢٢].

وكان الإمام ابن القيم -رحمه الله- يقول: **"رأيتُ مِن أهلِ زماننا مَن دخلَ جنّةَ العِرفانِ قبلَ أن يدخلَ جنةَ الرحمنِ ذاقوا لذّةَ الصلاة"**، وقال رحمه الله: **"إنّ لكَ موقفين بين يديّ الله، موقفٌ في الصلاةِ في الدنيا، وموقفٌ بين يديّ اللهِ في الآخرة؛ فإذا حَسُنَ موقفُكَ بين يديّ اللهِ في الدنيا حَسُنَ موقفُك بين يديّ اللهِ في الآخرة".**

فمن أتمَّ الصلاةَ بركوعها وخشوعها ما استطاع، وجاهد في ذلك حَسُنَ موقفه عند الله عز وجل فشفعت له صلاته.

ويذكر أنه كان هناك رجل حسنت صلاته فكان يطيل في الصلاة فتكلم مع أحد المشايخ فأخبره عن مشكلة واجهته في العمل فقال له الشيخ: ادعُ الله في صلاتك؛ ليحلّها لك. قال: "والله لا تكاد تكفيني الصلاة".

فهو لا يجد وقتًا يكفي أن يدعوَ لدنياه.

وكان ابن الزبير إذا صلى ظنه الناس ساريةً لطول وقوفه في الصلاة، ويُذكر أنه كان يصلي عند الحرم لما ضرب الحجاج مكة بالمنجنيق فكان يصلي عند الحرم فكان الحجر يأتي ما بين لحيته وصدره فلا يتحرك له.

ويُذكر أن البخاري -رحمه الله- كان يصلي فلدغه زنبور سبع عشرة مرة ولم ينتبه إليه أحد فلما انتهى من صلاته قال لأهله: انظروا لهذا، فقالوا: لمَ لم تقطع الصلاة؟ فقال: **"كنت قائمًا بين يدي ربي".**

---

[٢٠] أخرجه النسائي في سننه، وصحّحه الألباني.

[٢١] أخرجه مسلم في صحيحه.

[٢٢] أخرجه مسلم في صحيحه.

وكان أحد السلف يصلي في المسجد فانهدمت ناحية المسجد فجاءه أهل السوق فإذا هو قائم يصلي لم يتحرك، فقالوا له لمّا انتهى من صلاته: ألم تشعر؟ فقال: **"واللهِ ما شعرتُ ولا كانَ"**.

ويذكر أن لعروة بن الزبير النصيب الأعظم بين الصحابة في الخشوع في الصلاة، فكان إذا دخل بيته سكت أهل بيته هيبةً له فإذا دخل في الصلاة قاموا وتعالت أصواتهم؛ لأنهم علموا أنه انقطع بصلاته عنهم، وقصته معروفة لما أصابته الآكلة -الغرغرينة- في رجله فقالوا له: تعال لنقطعها لك، فلما أرادوا نشرَها قالوا له: لابد أن نسقيَك خمرًا؛ ذلك أنك لن تحتمل الألم، فقال: لا، لا أشربه ولكن إذا دخلت في صلاتي فاقطعوها، ففعلوا فلما وصلوا إلى العرق أغشي عليه في اللحظة الأخيرة.

- **خشية الله في الصلاة**

وكان يقال عن شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله: **"لو رأيت ابن تيمية وهو يكبر لانخلع له قلبك"** لما عنده من الصدق واليقين والرهبة من الله عز وجل والخشوع الذي يُعدي من يسمعه، وكان من شدة استشعار علي بن أبي طالب قيمة الصلاة أنه كان إذا سمع الأذان رضي الله عنه يتزلزل ويقول: **"جاءَ وقتُ الأمانةِ"**.

كيف لا والله ذكر ثقل الأمانة في كتابه فقال ﷻ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ﴾ [الأحزاب: ٧٢].

وكان الحسن البصري إذا توضأ اصفرَّ لونه، فقيل له: يا إمام ما لك؟ فيقول: **"أتدرون بين يدي من سأقف؟"**

وكان من خشية عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه يقول: **"واللهِ لولا يومُ القيامةِ لكان غيرُ ذلك"** أي لأكلت طعام المترفين ولبست لباسَهم.

ويُذكر أن جارةً لعروة بن الزبير -رضي الله عنه- كانت تأتي زوجته فتلمس الوسائد لتجلس فتجدها مبللةً، فتقول لها: كفِّي صبيانك عن مكان زوجك فتقول: بل هذه دموعه في الليل ما جفّت عن الحصر.

ويُذكر أن عباد بن البِشر أحد التابعين كان مرابطًا في إحدى المعارك وكان معه عمار بن ياسر وكان قائمًا يصلي فأصابه سهم من المشركين وكان يقرأ سورة الكهف -وقيل مريم- فلم يتحرك، ثم أصابه الثاني فالثالث، فلمّا دخل السهم أخذه فنزعه كي يركع ويسجد فلما خاف أن يموت فيغير عليهم المشركون أيقظ عمار بن ياسر فقال: رحمك الله يا أخي لِمَ لمْ تخبرني؟ فقال: إني كنت في سورة فما أردت أن أقطعها، فو الله لأَن تخرج نفسي أحب إليَّ أن أقطعها، ولولا خوفي على جيش رسول الله صلى الله عليه وسلم لتركتها.

فعلى المسلم إذا صلى أن يخشع في صلاته ولا يكتفي بقراءة قصار السور بل ينوِّع بقراءة السور الطوال.

ولا أنسى أن أذكِّرَ بأن المؤمن قويٌّ بإخوانه ضعيفٌ بنفسه لذلك كان علينا أن نلزم صحبة الخير ممن يخشون الله ويحفظون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم.

أسال الله أن يجعلني وإياكم من الخاشعين في صلاتهم وأن يجعلَ خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم نلقاه، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تنويه: مادة المحاضرة جمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخلُّ بروح المحاضرة ومعانيها